﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَتُوبُ عَلَيۡهِمۡ وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١٦٠﴾ [البقرة: 160]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

رَبْطُ عِقابِ الكاتِمينَ لِما أَنْزَلَ اللهُ، بِبَقاءِ بابِ التَّوْبَةِ مَفْتوحًا لَهُمْ

لَمّا بَيَّنَ تعالى عَظِيمَ الْوَعِيدِ في الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ، كَانَ يَجُوزُ أَن يُتَوَهَّمَ أَنَّ الْوَعِيدَ يَلْحَقُهُم عَلَى كُلِّ حَالٍ، فَبَيَّنَ تَعَالَى أَنَّهُم إِذَا تَابُوا تَغَيَّرَ حُكْمُهُمْ، واسْتَحَقُّوا أَن يَتُوبَ اللَّهُ تعالى عَلَيْهِمْ[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَدَاتِ:

كُلّما تكرّرت التّوبة، تكرّر القبول

1) ﴿تَابُواْ﴾، ﴿أَتُوبُ﴾، ﴿ٱلتَّوَّابُ﴾: مِنَ الجَذْرِ (توب)، وهو في الأصلِ يَدُلُّ عَلَى الرُّجُوعِ، يُقَالُ: تَابَ مِن ذَنْبِهِ، أَي: رَجَعَ عَنْهُ[2]، والتَّوْبُ: تَرْكُ الذَّنْبِ عَلَى أَجْمَلِ الْوُجُوهِ، وتَابَ اللَّهُ عَلَيْهِ، أَيْ: قَبِلَ تَوْبَتَهُ، ومِنْهُ: ﴿فَتَابَ عَلَيۡكُمۡ وَعَفَا عَنكُمۡۖ﴾ [البقرة: 187]، والتَّوَّابُ: الْعَبْدُ الْكَثِيرُ التَّوْبَةِ، وقد يُقَالُ ذَلِكَ لِلَّهِ تَعَالَى، لِكَثْرَةِ قَبُولِهِ تَوْبَةَ الْعِبَادِ، حالًا بَعْدَ حالٍ[3]، فالتَّوَّابُ هُوَ الَّذِي يَتُوبُ عَلَى عِبَادِهِ، فَيَقْبَلُ تَوْبَتَهُمْ، كُلَّمَا تَكَرَّرَتِ التَّوْبَةُ تَكَرَّرَ الْقَبُولُ[4].

الصّلاح ضدّه الفسادُ

2) ﴿وَأَصۡلَحُواْ﴾: مِنَ الجَذْرِ (صلح)، وهو في الأَصْلِ يَدُلُّ عَلَى خِلَافِ الْفَسَادِ[5]، والصَّلَاحُ قُوبِلَ في القرآن تارةً بِالفَسَادِ، وتَارَةً بِالسَّيِّئَةِ؛ قَالَ تَعَالى: ﴿خَلَطُواْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ [التّوبة: 102]، ﴿وَلَا تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ بَعۡدَ إِصۡلَٰحِهَا﴾ [الأعراف: 56][6]، وأَصْلَحَ الشَّيْءَ:

(1) الرّازيّ، التّفسير الكبير: 4/142.
(2) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (توب).
(3) الرّاغب، المفردات: (توب).
(4) البيهقيّ، الأسماء والصّفات: 1/195.
(5) ابن فارس، مقاييس اللُّغة: (صلح).
(6) الرّاغب، المفردات: (صلح).

أَقَامَهُ بَعْدَ فَسَادٍ، قال تعالى: ﴿فَمَن تَابَ مِنۢ بَعۡدِ ظُلۡمِهِۦ وَأَصۡلَحَ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَتُوبُ عَلَيۡهِۚ﴾ [المائدة: 39]، أَتَى بالصَّلاحِ، وهُوَ الخَيْرُ والصَّوابُ[1].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

تُقْبَلُ التَّوْبَةُ مِنَ الخَطيئاتِ، إذا صَفَتِ النِّيّاتُ

يُخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى بَعْدَ ذِكْرِ اللَّعْنَةِ لِلْكَاتِمِينَ أَنَّهُ يَسْتَثْنِي الَّذِينَ رَجَعُوا مُسْتَغْفِرِينَ اللَّهَ من خَطَايَاهُمْ، وأَصْلَحُوا مَا أَفْسَدُوهُ، وبَيَّنُوا مَا كَتَمُوهُ، فَأُولَئِكَ يقْبَلُ تَوْبَتَهُم ويجَازِيهم بِالْمَغْفِرَةِ، وهو التَّوَّابُ عَلَى مَن تَابَ مِن عبادِه، الرَّحِيمُ بِهِمْ؛ إِذْ وفَّقَهُم لِلتَّوْبَةِ وقَبِلها مِنْهُمْ[2].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالَةُ الاسْتِثْناءِ في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾:

اسْتِثْناءُ التّائِبينَ مِـنَ الـلَّـعْـنَـةِ، دَليلُ الرَّحْمَةِ

قَوْلُهُ ﷻ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ﴾: اسْتِثْنَاءٌ من ﴿ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ﴾، أَي فَهُمْ لَا تَلْحَقُهُم اللَّعْنَةُ، وهُوَ اسْتِثْنَاءٌ حَقِيقِيٌّ مَنْصُوبٌ عَلَى تَمَامِ الْكَلَامِ من ﴿ٱلَّذِينَ يَكۡتُمُونَ﴾[3].

براعةُ اللَّفِّ والنَّشْرِ المُرتَّبِ:

في الْآيَةِ بديعُ اللَّفِّ والنَّشْرِ، وهُوَ مُتَعَلِّقٌ بِالْكَلَامِ الْوَارِدِ في الْآيَةِ السَّابِقَةِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩ إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصۡلَحُواْ وَبَيَّنُواْ﴾، فَالتَّوْبَةُ والإِصْلَاحُ رَاجِعَانِ لِقَوْلِهِ ﷻ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَلۡعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾؛ لِأَنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وأَخْفَى، وقوله: ﴿وَبَيَّنُواْ﴾، رَاجِعٌ إلى قوله: ﴿وَيَلۡعَنُهُمُ ٱللَّٰعِنُونَ ١٥٩﴾؛ لِأَنَّ النَّاسَ لَا يَعْلَمُونَ تَوْبَتَهُمْ، إِلَّا إِذَا بَيَّنُوا، وظَهَرَ عَلَى حَالِهِم ذَلِكَ[4].

أَثَرُ المُغَايَرَةِ في اِسْتِعمَالِ صِيَغِ الأَفْعَالِ:

دِقَّـةُ التَّـعْـبيرِ في تَـعْـيينِ الـمُـرادِ، وَنَفْيِ مَا سِواه

غايرتِ الآيةُ في التَّعبيرِ عن صِيَغِ الأفعالِ؛ فعَبَّرَ عَن التَّوْبَةِ

(1) جبل، المعجم الاشتقاقيّ المؤصّل: (صلح).
(2) نخبة من العلماء، التّفسير الميسّر: 1/24.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/71.
(4) ابن عرفة، تفسير ابن عرفة: 2/478.

والْإِصْلَاحِ والْبَيَانِ بِالْفِعْلِ الْمَاضِي، بَعْدَ أَن عَبَّرَ عَن الْكِتْمَانِ بِالْفِعْلِ المُضَارِعِ؛ لِأَنَّهُ أَرَادَ إِنجازَ تِلْكَ الْأَفْعَالِ؛ لِأَنَّهُ أَعْقَبَهَا بِالْجَزَاءِ، وهُوَ قَبُولُ التَّوْبَةِ عَنْهُمْ، ولَو عَبَّرَ عَن تِلْكَ الْأَفْعَالِ بِالْفِعْلِ الْمُضَارِعِ، الدَّالِّ عَلَى كَوْنِ الْحَدَثِ في طَوْرِ الْمُعَالَجَةِ والتَّجَدُّدِ، لَكَانَ الْجَزَاءُ مُسْتَحَقًّا، لِأَفْعَالٍ لَم تُنْجَزْ بَعْدُ.

الْإِيجَازُ بِالْحَذْفِ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿وَبَيَّنُواْ﴾:

مَـنْ بَـيَّنَ بَـعْـدَ كِـتْـمَـانٍ، وآمَـنَ بَـعْـدَ كُـفْـرَانٍ، بَرِئَتْ ذِمَّتُهُ

مُقْتَضَى التَّوْبَةِ أَن يُبَيِّنَ الكاتِمُونَ مَا كَتَمُوا، فَلَم يُذْكَر في الْآيَةِ أَيُّ شَيْءٍ بَيَّنُوا، فَيَكُونُ الْمُرَادُ الْعُمُومَ، فَيَكُونُ مَعْنَاهُ: بَيَّنُوا تَوْبَتَهُمْ، ومَا كَتَمُوه من أَمْرِ النَّبِيِّ ﷺ، وهَذَا يَعْنِي أَنَّ مَن تَابَ وبَيَّنَ ذَلِكَ، يَقْتَضِي في الْغَالِبِ أَنَّهُ قَد أَسْلَمَ، فَتَجِيءُ الْآيَةُ فِيمَن أَسْلَمَ بعدَ كَتْمٍ من الْيَهُودِ والنَّصَارَى[1].

دَلَالَةُ الفاءِ عَلَى السَّبَبِيَّةِ في الآيَة:

الإِيجازُ البَديعُ في الآيَـــةِ، أَكْسَبَها رَوْنَقًا وجَماليَّةً

دَخَلَتِ الْفَاءُ عَلَى اسْمِ الْإِشَارَةِ ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ﴾؛ لِلتَّنْبِيهِ عَلَى سَبَبِيَّةِ مَا قَبْلَه لِمَا بَعْدَه؛ لِأَنَّ التَّعْبِيرَ بِاسْمِ الْإِشَارَةِ لَا يُغْنِي عَن الْفَاءِ في كُلِّ مَوْضِعٍ؛ فَالْفَاءُ تُؤَكِّد مَا فُهِمَ من الْإِشْعَارِ بِالسَّبَبِيَّةِ الْمَفْهُومَةِ من اسْمِ الْإِشَارَةِ[2]، وفي الْفَاءِ مَعْنَى التَّعْقِيبِ؛ لِلدَّلَالَةِ عَلَى شَيْءٍ زَائِدٍ عَلَى مفادِ الاسْتِثْنَاءِ، وهُوَ أَنَّ تَوْبَتَهُم يَعْقُبُهَا رضى اللَّه تَعَالَى عَنْهُمْ، فَجَاءَ في الْآيَةِ نَظْمٌ بَدِيعٌ تَقْدِيرُهُ: (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا انْقَطَعَتْ عَنْهُمُ اللَّعْنَةُ فَأَتُوبُ عَلَيْهِمْ)، أَي: أَرْضَى، وزَادَ توسّطُ اسْمِ الْإِشَارَةِ الدّلَالَةَ عَلَى التَّعْلِيلِ، وهُوَ إِيجَازٌ بَدِيعٌ[3]، فَهُم لَيْسُوا خَارِجِينَ من اللَّعْنِ بَعْدَ تَوْبَتِهِم، وحَسْبُ، بَل إِنَّ اللَّه سَيَقْبَلُهُم ويَرْحَمُهُمْ، ورَحْمَتُهُ هُنَا رِضًى عَنْهُمْ.

(1) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 1/231.

(2) القُونَوِيّ، حاشيةٌ على البيضاوِيّ: 4/387، ويقول النّحاة في اقتران الخبر بالفاء: إذا قصد الدّلالة على تضمين المبتدأ معنى الشّرط في اللّفظ، فيجب دخول الفاء فيه، وإذا لم يقصد فلا يجب دخولُه فيه، بل يجب عدمُه، فالفاء تأتي لبيان قصد السّببيّة، الرّضيّ، شرح كافية ابن الحاجب: 1/267.

(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 2/72.

إِيثَارُ اسْمِ الْإِشَارَةِ الدَّالِّ عَلَى الْبُعْدِ فِي قَوْلِهِ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾:

اسْتِحقاقُ المنزلةِ الرَّفيعةِ بالتوبةِ الرَّفيعة

آثَرَ اسْتِعْمَالَ اسْمِ الْإِشَارَةِ الدَّالِّ عَلَى الْبُعْدِ، فَقَالَ: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾، ولَم يَقُلْ: (هَؤُلَاءِ)؛ لِلْإِشْعَارِ بِبُعْدِ مَنْزِلَتِهِم في الصَّلَاحِ[1]، وهَذَا إِشْعَارٌ بِفَضِيلَةِ التَّوْبَةِ والرُّجُوعِ إِلَى الْحَقِّ، وإِصْلَاحِ الْفَسَادِ، فبعدَ أن كانوا في أبعدِ منازلِ الطَّردِ، استحقُّوا أن يكونوا في أرفعِ منازلِ الرَّحمةِ، وهذا من العدْلِ في النَّظمِ النَّاشئِ عن عدالةِ المعنى.

الالْتِفاتُ في قوله: ﴿أَنزَلْنَا﴾، ﴿بَيَّنَّٰهُ﴾، ﴿يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾، ﴿أَتُوبُ﴾:

التَّفَنُّنُ في الأَسالِيبِ والألْفاظِ يُغْني الدّلالَةَ، ويَرْقى بالأُسْلوبِ

الِالْتِفَاتُ مِن نُونِ الْعَظَمَةِ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿أَنزَلْنَا﴾، و﴿بَيَّنَّٰهُ﴾ إِلَى الْغَيْبَةِ بِاسْتِعْمَالِ الِاسْمِ الظَّاهِرِ في قَوْلِهِ ﷻ: ﴿يَلْعَنُهُمُ ٱللَّهُ﴾، ثُمَّ الِالْتِفَاتُ مِن الْغَيْبَةِ إِلَى صِيغَةِ الْمُتَكَلِّمِ وحْدَهُ في قوله: ﴿أَتُوبُ﴾؛ لبيانِ حالِهم بعد قبولِ تَوْبَتِهم، وتشريفِ منْزِلَتِهم؛ فناسَبَ أن يكونَ الكلامُ صادرًا عنِ المُتكلِّمِ سبحانه، زيادَةً في إكرامِهم وتوقيرِهم.

بلاغةُ الفَاصِلَةِ في قولِه: ﴿وَأَنَا ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾:

قيامُ الفاصِلةِ بمنزلةِ الدّليلِ على الدَّعوى

جَاءَ قولُه تعالى: ﴿ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ مُعَرَّفًا بِالْأَلِفِ واللَّامِ؛ لِإِفَادَةِ الْحَصْرِ، فَالتَّوْبَةُ والرَّحْمَةُ عَلَى وجْهِ الْحَقِيقَةِ، إِنَّمَا هِيَ من اللَّهِ تَعَالَى، وهَذَا يُفِيدُ تَأْكِيدَ الْمَعْنَى، مَعَ مَا في صِيغَةِ الْمُبَالَغَةِ من التَّكْثِيرِ، وهو اعْتِرَاضٌ تَذْيِيلِيٌّ مُقَرِّرٌ لِمَا قَبْلَهُ، والْمَعْنَى: وإِنَّ عَادَتِي قَبُولُ تَوْبَةِ التَّائِبِينَ، وإِفَاضَةُ الرَّحْمَةِ مَعَ الْمَغْفِرَةِ؛ ولِهَذَا أَتُوبُ عَلَى التَّائِبِينَ عَنِ الْكِتْمَانِ، وسَائِرِ الطُّغْيَانِ، وهُوَ مُنَاسِبٌ في سِيَاقِ الْحَدِيثِ عَنْ تَوْبَةِ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى عِبَادِهِ ورَحْمَتِهِ بِهِمْ، فَهَذِهِ الْجُمْلَةُ بِمَنْزِلَةِ الدَّلِيلِ عَلَى مَا قَبْلَهَا[2].

دَلَالَةُ صِيَغِ الْمُبَالَغَةِ في حَقِّ اللَّهِ تَعَالَى:

صِفاتُ اللهِ لا يجوزُ فيها زِيادَةُ الفِعْلِ، بَل تَعَدُّدُ المَفْعُولاتِ، وكَثْرَةُ المُتَعَلَّقاتِ

صِيغَةُ الْمُبَالَغَةِ، إِذَا جَاءَت تَعْبِيرًا عَن صِفَاتِ اللَّهِ تَعَالَى؛ فَإِنَّ الْمُبَالَغَةَ فِيهَا لا يُرَادُ مِنْهَا تَكْثِيرُ هَذَا الْوَصْفِ، وإِثْبَاتُ الزِّيَادَةِ فِيهِ؛

(1) القُونَوِيّ، حاشيةٌ على البيضاوِيّ: 4/388.
(2) القُونَوِيّ، حاشيةٌ على البيضاوِيّ: 4/388.

فَالْمُبَالَغَةُ في حَقِّ اللّٰهِ تَعَالَى، لَا تَعْنِي زِيَادَةَ الْفِعْلِ، بل تَعَدُّدَ الْمَفْعُولَاتِ، وكَثْرَةَ الْمُتَعَلَّقَاتِ، فَاللّٰهُ تَوَّابٌ لِكَثْرَةِ مَن يَتُوبُ إِلَيْهِ، مِن عِبَادِهِ، ولِكَثْرَةِ قَبُولِهِ تَوْبَتَهُمْ، واللّٰهُ قَدِيرٌ بِاعْتِبَارِ تَكْثِيرِ الْمُتَعَلَّقِ، ولَيْسَ تَكْثِيرَ الْوَصْفِ، واللّٰهُ عَلِيمٌ بِاعْتِبَارِ عُمُومِ الْعِلْمِ لِكُلِّ الْأَفْرَادِ، لَا بِاعْتِبَارِ الْمُبَالَغَةِ في الْوَصْفِ، إِذِ الْعِلْمُ لَا تَفَاوُتَ فِيهِ، ولَا يَصِحُّ ذَلِكَ مَعَهُ[1].

(1) الزّركشّي، البرهان: 2/507-508، أحمد مختار عمر، أسماء اللّه الحسنى دراسة في البنية والدّلالة، ص: 95-94.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثاني، سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 2 ، 804 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-53-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 2 : سورة البقرة من الآية 98 إلى الآية 180.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-53-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-7984852 بتاريخ 2023/03/10م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»